كالثاودكيًا لها مثلها مقدّمة وختام وشرح

*

هذه هي اخصُّ التآليف القبطية في الرتب الدينية وقد طُبعت كلُّها في رومية بهمّة رافائيل الطوخي اسقف أرسينويه في اواسط القرن الثامن عشر

قلنا « اخصُّها » لانَّ لنا دلائل عديدة على انَّ الاقدمين اتَّخذوا في طقوسهم رتبًا غيرها أبطل استعمالها في كرور الادهار

ومن جملة هذه الرتب رتبة للفصح المجيد نشرها لاوَّل مرَّة غبطة السيّد كيرلوس مقار بطريرك القبط الكاثوليك حالًا عن نسخةٍ قديمة عنوانها « كتاب البصخة المقدّسة » وهذا الكتاب يحتوي كلَّ رتب جمعة الآلام واحد القيامة . وصلواتهُ في الغالب مقتطفة من آيات الكتاب الكريم

ويوجد كتب اخرى غير هذه التي لا تزال مخطوطة . والمستشرقون يهتمُّون بالبحث عنها لينشروها ويعرّفوا خواصَّها . وقد سبق المشرق (٢ : ٢٢١) ووصف نافورًا قديمًا وضعهُ احد معاصري القديس اثناسيوس وهو الاسقف سيرابيون فوجدهُ منذ عهد قريب المعلّم ڤوبرمين في خزانة كتب جبل اثوس

هذا ونضرب صفحًا عن بعض كتب خطب ومواعظ بالعربيَّة تُقرأ في اعياد الاقباط . منها خُطب للشيخ الصفي ابن العسَّال طُبعت في المطبعة الوطنيَّة بمصر سنة ١٦١١ للشهداء (١٨٩٤ م) . وللاقباط الارثدكس مجموعان آخران في ذلك طبعوهما في المطبعة الاهليَّة القبطيَّة سنة ١٥٨٩ للشهداء (١٨٧٢ م) . وفي الختام نستلفت انظار اهل البحث الى طلب مثل هذه الكنوز الدفينة ليحيوها من رمسها ويغنوا بها العلوم الدينية

بحث جغرافي

في سيرة القديس مارون الناسك

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع)

ورد ذكر « مارونية » في ترجمة الراهب مُلخص التي كتبها القديس ايرونيموس فقال عنها انها بلدة صغيرة (haud grandis viculus) على مسافة ثلاثين ميلًا شرقي

انطاكية (١ كانت ملكاً لصديقه ايقاغريوس الكاهن الذي ارتقى بعد ذلك الى اسقفيَّة انطاكية. وكان القديس ايرونيموس ايَّام اقامتـهِ في انطاكية يتردَّد الى القرية المذكورة مع صديقهِ ايقاغريوس الموما اليهِ. وهذا برهان آخر على انها كانت قريبة من انطاكية لكن لا يسوغ ان تريد عليهِ انَّها كانت في جوار مدينة قورس اذ كان بينها وبين هذه المدينة الاخيرة مسيرة يومين على الاقلّ

فالى اي شيء اذاً يستند قول من يقولون ان القديس مارون ولد في قرية مارونية ؟ لا علم لنا بذلك لان تواودوريطوس الذي هو المستند الوحيد لكل ما كتبهُ الكاتبون عن القديس مارون لا يذكر شيئاً عن مكان مولدهِ وكل المؤرخين الذين جاؤوا بعد اسقف قورس نقلوا عنهُ واذا كانوا قد اضافوا بعض زيادات الى كلامهِ فليس لهـذه الزيادات عند اهل التحقيق الَّا قيمة كاتبها. نعم انَّهم قصدوا قصداً حسناً فرغبوا في ان يوضحوا ما سكت عنهُ تواودوريطوس غير انهُ لا غنى للمؤرخ المدقّق في امور كثيرة عن الاقرار بالجهل والقصور. وزيادةً على ذلك ان التقليدات التي يتناقلهـا الموارنة ساكتة ايضاً عن مكان ولادة ابيهم القديس مارون ولو كان شيء من ذلك لَما تأخر البطريرك اسطفان الدويهي عن ايرادهِ. وعليهِ فانَّنا نعجب كيف يمكن في هذه المسألة بَسْط الكلام اكثر من تواودوريطوس والدويهي

ثم اردف صاحب تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ٨٤) قولهُ عن ولادة القديس مارون في مارونية » بقولهِ « انهُ درس العلوم في احدى مدارس انطاكية ». وهو ايضاً امرٌ لم يُفدنا عنهُ تواودوريطوس وقد اسندهُ الكاتب الحديث الى المودَّة التي زعم انَّها نشأت بين القديس يوحنَّا فم الذهب والقديس مارون الناسك (٢ منذ كانا يدرسان معاً في انطاكية. على انَّنا نقرُّ بسذاجة انَّنا لا نفهم قوَّة هذه الحجة لا بل نظنُّ انَّ القديس مارون كبقيَّة نُسَّاك زمانهِ في القورسيَّة (٣ كان من اصل آرامي ويجهل اللغة اليونانيَّة ومن ثم انهُ لم يدرس في مدارس انطاكية. وخلاصة القول انَّ الاحرى بنا ان نقرّ بجهلنـا

١) وذكر الجغرافيّ بطليموس ايضاً مكاناً آخر في سوريَّة يدعى « مارونيا » لكن يصعب القول انهُ عنى مارونية التي نحن بصددها ونرجح انهُ يريد بها مركزاً في اقليم قنسرين كما ذهب اليـه هرتمن ZDPV, XXIII, 145 راجع كذلك Ritter, XVII, 1569

٢) استناداً الى الرسالة ٣٦ من رسائل القديس يوحنا فم الذهب

٣) وسيأتي بيان ذلك قريباً

المكان المعيَّن الذي وُلد فيهِ القديس مارون

وان طلب منَّا القارئ رأينا في ذلك رجَّحنا كونهُ لم يولد في جوار انطاكية. وعلى كل حال لا نرى صوابًا في ما اثبتهُ حضرة الخوري غبريل (ص ٨٧) حيث قال: «انَّ البريَّة التي انحاز اليها القديس مارون قيل انَّها مجاورة لتلك التي رسمها القديس ايرونيموس عندما اعتزل اليها... وذكرها في جملة كتاباتهِ» لانَّ البريَّة التي اعتزل اليها هذا القديس معروفة محدَّدة الارجاء وهي ناحية متَّسعة الفناء موقعها جنوبي شرقي حلب كانت تدعى كلسيديَّة (Chalcidène) باسم عاصمتها كلسيس التي تُعرف اليوم باسم قنسرين وهي عبارة عن قَفْر قَفِر احرقتهُ الشمس يجاور برِّيَّة الشام لا يسكنهُ الَّا بعض عرب البادية (١. ومن راجع وصف هذا المكان للقديس ايرونيموس لا يراهُ موافقًا لما قالهُ تيادوريطوس عن البلاد التي عاش فيها القديس مارون وهي القورسيَّة كما سبق. فالرأي عندنا انَّ مولد رجل الله كان في الناحية التي فيها قضى اكبر قسم من حياتهِ كما سيأتي نقلًا عن تيادوريطوس. ولو كان مولد القديس مارون في انطاكية او جوارها لكان اختار لزهدهِ احدى البراريّ العديدة الواقعة على مقربة من هذه الحاضرة والمقدَّسة بعيشة كثيرين من مشاهير العبَّاد وذلك ما يتَّضح من التواريخ البيعيَّة المكتوبة في ذلك العصر (٢ كفانا شاهدًا على قولنا مثال القديس يوحنَّا فم الذهب الذي وُلد في انطاكية ثم انقطع الى النسك في دير قريب من موطنهِ. وكذلك نظنّ انَّ القديس مارون الذي عاش ومات في القورسيَّة وُلد ايضًا فيها ما لم يأتنا احد ببرهان جليّ على خلاف هذا الرأي

امَّا ان القديس مارون صرف حياتهُ في القورسيَّة وقضى فيها نحبهُ فالامر واضحٌ وضوحًا تامًّا بما ورد في تاريخ الرهبان لتيادوريطس. فانَّ هذا الكاتب العظيم بعد ذكرهِ من اشتهر من النسَّاك في انطاكية وجوارها يعلن جهارًا انهُ يباشر بتراجم المتنسكين في القورسيَّة (٣ ثم يذكر اعمال ميسيماس واشبسيماس ويتخلَّص الى ذكر القديس مارون

---

١) وكانت لغة هذه الناحية السريانيَّة. وكان القديس ايرونيموس يفهمها (راجع مجلَّة الشرق المسيحيّ المطبوعة في رومية «Oriens christianus» لسنة ١٩٠٢ ص ٢٠٣)

٢) راجع كتاب تيادوريطس في تاريخ الرهبان

٣) راجع التاريخ ذاتهُ في مجموع مين (ص ١٣١٦)

فبيّن بذلك انّ هذا العابد الشهير كان في الناحية ذاتها. وقد زادنا ايضاحاً في اثناء كلامهِ عن القديس: « انهُ هو غارس الحديقة (يريد حديقة العيشة الرهبانيّة) التي تزهو الآن في القورسيّة (١) »

هذا ولا نجهل بانّ تيادوريطس قال في ترجمة ابراهيم الناسك التي الحقها بترجمة القديس مارون « انهُ هو ايضاً كان ثمرة نمت في بلاد قورس » ثم اردف قولهُ بهذه الفقرة قائلاً « وبها كان مولدهُ ». فلماذا يا ترى ضرب الصفح عن التصريح بموطن القديس مارون ؟ فهل كان ذلك سهواً منهُ او جهلاً ؟ فهذه مُعضلات امكن تيادوريطس ان يحلّها فلم يفعل. ولعلّهُ اكتفى بقولهِ عن ابراهيم « انهُ هو ايضاً كان ثمرة نضجت في القورسيّة » ليشير الى انّ اصل القديس مارون الذي سبق ذكرهُ كان ايضاً من القورسيّة فليحكم القرّاء.

هلمّ بنا الآن ننظر في ايّ مكان من القورسيّة تألّقَ قديسنا الجليل. نجيب على ذلك انّ غاية ما اعلمنا بهِ تيادوريطس في هذا الصدد انهُ « تسلّق الى قمّة جبل كان اقام فيهِ سابقاً عبدةُ الاوثان هيكلاً للابالسة » (٢). والظاهر انّ هذا الجبل كان على بعض المسافة من قورس كما يلوح من ترجمة القديس يعقوب تلميذ القديس مارون حيث قال عنهُ تيادوريطس « انهُ بعد ما سكن مدّةً مع معلّمهِ جاء فسكن على جبل يقرب من قورس ثلاثين غلوةً » اعني على مسافة ساعة ونصف من هذه المدينة (٣). ولكن في اي جهة كان موقع جبل القديس مارون أفي شمال قورس او جنوبها او جهة أُخرى والرأي عندنا انهُ سكن احد الجبال الواقعة على طريق حلب اعني جنوبي شرقيّ قورس. ليكون مقام القديس اقرب الى افامية في اقليم سوريّة الثانية حيث شُيّد بعد ذلك الدير الذي عُرف باسم دير القديس مارون كما سترى في فصلنا الخامس آنفاً

الّا انّ تعريف الجبل بعينهِ الذي اوى اليهِ القديس مارون ليس بممكن ما لم يبحث عن ذلك اهل البحث في نواحي قورس. وممّا يساعد على ذلك فحص اخربة الهيا كل الواقعة في قمم تلك الجبال والمقابلة بينها وبين ما يرويهِ اهل تلك النواحي بالتقليد مع

١) راجع الصفحة ١٢٣٣ منهُ
٢) فيهِ (الصفحة ١٢٣٤)
٣) فيهِ (الصفحة ١٢٣٦)

البحث الجغرافيّ عن مواقع تلك الاصقاع. فلا غرو انَّ من يتبع هذه الخطّة يَلقَ ما لم يكن في حسبانهِ من آثار الامكنة الدائرة في سوريَّة. وما ادراك انهُ لا يجد كتابة قديمة تميط السرّ عن عدَّة امور غامضة (١

ولم يُدفن القديس مارون في محبسهِ فان سكّان القرى المجاورة تنازعوا ذخائرهُ المقدَّسة حتى فاز بها اهل بلدةٍ قريبة فنقلوها الى وطنهم واقاموا للناسك القديس هيكلًا جعلوها فيهِ. ويؤخذ من بعض نصوص تواودوريطس انَّ الهيكل المذكور كان على مسافة من قورس. قال هذا الكاتب الشهير: « ومع اننا بعيدون عن القديس فانَّ بركتهُ تشملنا وذكرهُ يقوم لدينا مقام ذخائرهِ ». فعنى بهذا بُعد مدينتهِ قورس عن هذا المقام. على انَّ المكان لم يكن خارجاً عن دائرة ابرشيَّتهِ قورس لانَّ مدفنهُ كان قريباً من محبستهِ وقد بيَّنا في ما سبق انَّ القديس عاش في القورسيَّة. ومن ثم صحَّ عندنا ان قبر القديس وهيكلهُ الاوَّلين انَّما كانا في شمالي سوريَّة جنوبيّ قورس في نحو نصف المسافة بينها وبين حلب

٥

هيَّا بنا الآن نبحث عن امرٍ آخر لا تفوت فائدتهُ كلَّ بصير اعني مقام دير القديس مارون الشهير. قد تكرَّر ذكر هذا الدير في اخبار سوريَّة واشتهر رهبانهُ بما ابدوا من البسالة في الدفاع عن الايمان. ولكن تُرى اين كان موقع الدير المذكور هل اقيم بجوار هيكل القديس « مارون العظيم » (كذا دعاهُ تواودوريطس في تاريخ الرهبان ص ١٢٥٤) قريباً من ذخائرهِ المباركة كما تُرجّح ذلك التقاليد الشائعة او كان بالاحرى موقعهُ في غير مكان من سوريَّة

مهما كان من صحَّة احد الرأيين نرى الاجدر بنا ان نتصفَّح الآثار القديمة ونستضيء بنبراسها لتعريف موقع هذا المكان الذي في ظلّهِ نشأت الطائفة المارونية. ولا شكَّ انَّ نصوص القدماء تساعدنا على ازالة الشبهات التي تكاثفت بهذا الخصوص. وقد عددنا

---

١) كالكتابة المكتوبة بلغتين يونانية فآراميَّة التي وجدناها في كراد الداسنيَّة شمالي غربي حمص على ناووس قديس يُدعى توما لم يمكنّا حتَّى الآن بيان احوالهِ (راجع المجلَّة البلجكيَّة موزيون (Musée belge, 1901). وقد نشر حضرة الاب س. رنزڤال النص الآرامي في مجلَّة الشرق المسيحي (ROC, 1902)

ما كتبهُ المحدثون بهذا الصدد فوجدنا آراءهم متباينة متناقضة فمنهم من يجعل دير القديس عند انطاكية (١ ومنهم من يرجّح كونهُ في ضواحي حمص (٢ وبين البلدين كما لا يخفى مسافة ستّة ايّام بنيّف. وربّما رأيت الكاتب الواحد مضطربًا متحيرًا يجعل الدير تارةً في محل وتارةً في موقع آخر حتى انّنا عددنا لبعض كتبة زماننا خمسة آراء في هذا الشأن

وعندنا انّ درس الجغرافيّة المدقّق يُفضي بصاحبهِ الى الراي الصحيح ويرشدهُ الى الطريق المثلى. ولا بُدَّ لنا لبيان الامر من تعريف الاقسام السياسيّة التي كانت عليها سوريّة الشماليّة وسوريّة الوسطى في عهد دير القديس مارون اعني في القرنين الخامس والسادس فاذا وقفنا عليها تبيّنًا على التقريب الايالة التي فيها كان موقع هذا الدير المشهور. ثم نضيف الى هذه الاعلامات العموميّة بعض نصوص جغرافيّة تزيد بحثنا ايضاحًا

كان الرومان على عهد توادوريطس يدعون باسم سوريّة الرومانية كل البلاد المتّسعة الارجاء الواقعة في وسط التخوم الطبيعيّة التي يحدق بها البحر المتوسّط وجبل طورس وبادية الشام وبريّة طور سينا. وكانوا يقسمونها الى اربعة اقسام كبرى او اعمال اعني سوريّة وفينيقية واقليم العرب وفلسطين. ومن هذه الاعمال لا يهمّنا هنا سوى سوريّة وفينيقية فنقصر كلامنا عليهما

وكان عمل سوريّة يُقسم الى ثلاثة اقسام او ولايات يسمّونها سوريّة الاولى او سوريّة المجوّفة ثم سوريّة الثانية او سوريّة الطيّبة ثم سوريّة الثالثة المدعوّة ايضًا سوريّة الفراتية

وكانت قاعدة سوريّة الاولى المعروفة بالمجوّفة انطاكية العظمى وهي تمتدّ من جبل امانوس (اللكّام) شمالًا الى مدينتي اللاذقيّة وجَبَلة جنوبًا ويحدُّها شرقًا سوريّة الفراتيّة. فكانت سوريّة هذه تشمل القسم الغربيّ من ولاية حلب الحاليّة ومتصرفيّة اللاذقيّة من ولاية بيروت

وكانت سوريّة الثالثة اي الفراتية تضمُّ كلّ البلاد المعروفة سابقًا باسم كوماجينة

---

١) راجع الدويهي (ص ٢٩ و ٦١)

٢) اعني في وسط الطريق بين افامية وحمص (راجع اصداء الشرق السنة الرابعة ص ٩٦)

(راجع خريطة سوريَّة في المشرق ٦ : ٣٥٢) وقد مرَّ وصفها فلا حاجة الى اعادة الكلام فيها. وكانت حاضرة سوريَّة المذكورة مدينة منبج (Hierapolis)

اما سوريَّة الثانية (١ المدعوة بالطيِّبة (Syria Salutaris) فكانت حاضرتها افامية (قلعة المُضيق) وكان يدخل في حيزها اپيفانيا او حماة. وكانت حدود هذه الولاية الجنوبية تنحدر الى جوار حمص فيلحق بها اراثوسة ومريمين ورفانية التي موقعها على مسافة ثماني ساعات الى عشر شماليَّ غربي حمص. وعليه فتكون هذه الولاية مطابقة لقسم من ولاية حلب في جنوبها الشرقي ولقائمقامية حماة المركزيَّة في ولاية دمشق. وكلامنا في هذه المقالة خصوصاً عن هذه سوريَّة الثانية فلا بُدَّ للقارئ ان يودعها ذاكرتهُ ليتبعنا في بحثنا

وكان عمل فينيقية وهو القسم الثاني من سوريَّة الرومانية ينقسم الى فينيقية لبنان وفينيقية الساحليَّة

ففينيقية لبنان التي مدار كلامنا عنها هنا كانت حاضرتها حمص على الاقلّ مباشرةً لانَّ قسماً من سيطرتها بعد ذلك صار الى دمشق. وكفانا هنا علماً ان فينيقية لبنان كانت جنوبيَّ سوريَّة الثانية الطيِّبة

فلنعودنَّ الآن الى دير القديس مارون لتعريف موقعهِ. ومما اتَّفق عليهِ في هذا الباب لفيف الكتبة ان هذا الدير كان على ضفَّة نهر العاصي. وكذلك لا خلاف بانَّ موقعهُ كان في سوريَّة الثانية. وهذا امرٌ يلوح كالشمس في رائعة النهار لمن طالع العريضة التي وجَّهها رهبان هذا الدير الى البابا القديس هرمزداس مع سائر الكتابات الرسمية التي ورد فيها ذكرهُ فانَّها كلَّها بلا استثناء تجعل دير القديس مارون في سوريَّة الثانية

فان صحَّ ذلك بطل زعم الذين بحثوا عن دير القديس مارون خارجاً عن هذه الولاية. ومن ثمَّ فلا صحَّة لقول من ذهب الى انَّ هذا الدير كان بجوار انطاكية (٢

---

١) وعليهِ فلا نرى مدقِّقاً لمحديد بعض المحدثين لسوريَّة الثانية حيث قال : « سمَّاها الاقدمون سوريَّة الثانية لتتميَّز عن سوريَّة الاولى التي تعمّ جميع ما هو من عريش مصر الى نهر دجلة »

٢) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة (ص ١٠٩) وتاريخ الطائفة المارونية للدويهي (ص ٣٩)

او قريباً من حمص لانهُ لو كان في ضواحي انطاكيـة لكان من سوريَّة الاولى اي المجوَّفة ولو جاور حمص لعُدَّ من فينيقية لبنان

ولكن بقي ان نعيّن مكان هذا الدير ضمن تخوم سوريَّة الثانيـة في جوار نهر العاصي . ولبيان الامر نرى هنا ايضاً اصلاح بعض الاغلاط الجغرافيَّة التي شوَّشت هذه المسألة وجعلتها مرتبكةً مغلقة

فالغلط الاوَّل هو غلط الذين قرَّبوا موقع افامية من حمص فجعلوا المدينتين مجاورتين وهو غلط عظيم ورد في تاريخ سرياني لدير مار باسوس نذكرهُ آنفاً فقـال صاحبهُ : « ودير الشهيد مار باسوس في بلاد افامية على مقربةٍ (كذا) من مدينـة حمص الكبرى » . وقد شطَّ كاتب هذه الاسطر وسبب شطوطهِ انهُ وضع تاريخهُ في زمنٍ كانت حمص بلغت فيـهِ مقاماً سامياً فبهرهُ نور شهرتها . ومن ثم فانَّنا نعذر الذين استندوا الى هذا القول ليجعـلوا موقع دير القديس مارون في جوار حمص بدلاً من افامية لاسيَّما انَّ افامية كانت آنئذٍ خربت بعد ان احرقها كسرى الثاني فزادت حمص بخرابها عظماً

ومما يشهد لنا ايضاً على ارتقاء حمص ونفوذها في تلك الاعصار انَّ العرب بعد فتح الشام لمَّا قسموا سوريَّة الى اعمال متعدّدة دعوها اجناداً جعلوا حمص جنداً وادخلوا تحت حكمها مدينتي حماة وافامية . وهذا دليل واضح على عظم شأن حمص عند دخول العرب بلاد الشام اذ انَّهـا كانت من اكبر مدن سوريَّة في شمالها الشرقيّ . فلا عجب اذن ان كان البعض اتَّخذوا حمص كمقياس لتعريف المسافات كما انهم حسبوا افامية وحماة قريبتين منها لوقوعهما تحت حكمها

والغلط الثاني في هذا الباب انَّ قوماً خلطوا بين افاميـة وحماة وجعلوهما مدينة واحدة وذلك لبعض التشابه بين اسم افامية وابيفانية (اسم حماة اليوناني) . وهو زعم باطل غوي بهِ كتبة عديدون الى غاية القرن الثامن عشر منهم الكاتب دي لاروك في

وقد روى هذا العلَّامة (ص ٦٥) نصَّاً قديماً في سروم ورد فيهِ ما نصُّهُ : « قرية سروم في جبل السويديَّة على مسـافة متساوية بين انطاكية ودير القديس مارون » . قلنا ان كان المراد بسويديَّة القرية الحاليـة المعروفة بهذا الاسم اقتضى القول بان دير القديس مارون كان موقعهُ بين انطاكية والبحر . وهو زعم مردود

رحلتهِ الى سوريَّة (de la Roque: *Voyage en Syrie*. I,239) ولوكيان في الشرق المسيحيّ وغيرهما كثيرون بعدهما فسرى منهم الوهم الى بعض المحدثين من الكتبة الشرقيين

والصواب في ذلك انَّ افامية هي كما قلنا سابقاً قلعة المضيق شمالي شرقيّ حماة. وقد اماط القناع عن هذه الحقيقة للمرَّة الاولى العلاَّمة بورخردت (Burckhardt) فتبعهُ العلماء المحقّقون في قولهِ بعد ذلك بنحو ربع القرن. وعليهِ فلا تثريب على بعض كتبة الشرق العلماء ان ضلُّوا في ذلك سواء السبيل

ولعلَّ سبباً آخر دفع هؤلاء الكتبة الى ان يجعلوا دير القديس مارون في ضواحي حمص وهو موقع مغارة الراهب. فانَّ هذه المغارة او بالحريّ هذه سلسلة المغاور التي وصفناها في مقالتنا تسريح الابصار (ص ١٠٧ وفي المشرق ٤: ٢٦٤) جنوبيّ حمص عند راس العاصي. ولمَّا كان بعض العامَّة يعرفونها باسم دير القديس مارون ظنّ قومٌ انَّ المراد بهذا المكان ذلك الدير الأوَّل الذي بُني على اسمهِ قريباً من افامية

فكل هذه المزاعم اوهام لا يجوز القول بها. ومن ثم لا نرى ما كتبهُ البعض في هذا الصدد مضبوطاً حيث جعلوا دير القديس مارون «على تخوم حمص» او «في بلاد حمص وحماة» او «بين حمص وحماة» (١ او «في حمص» كما ورد في تاريخ ابي الفداء (٢ وقد تبعهُ الاب ميشال جوليان اليسوعي (٣ او في وسط الطريق بين افامية وحمص على راي الاب قاليه الصعودي (٤

والقول الفصل عندنا في ذلك ان موقع دير القديس مارون فُوَيق هذه الامكنة شمالاً ما وراء افامية. وممَّن كادوا يصيبون الهدف في ذلك العلاَّمة المسعودي من كتبة القرن العاشر للميلاد فانهُ عيَّن موقعهُ بقولهِ في كتاب التنبيه (ص ١٦٣): ان هذا الدير كان «شرقي شيزر... بقرب نهر الأُرُنط نهر حمص وحماة». وشيزر هذه تُعرف في عهدنا باسم شَيْجَر وهي في نصف الطريق بين حماة وافاميــة اي قلعة المضيق. وقد

١) راجع تاريخ الكنيسة الانطاكية (ص ١٠٩, ١٧٥, ٢٥٧, ٢٦٩)
٢) راجع تاريخ ابي الفداء (Hist. anteisl., ed. Fleischer. p. 112)
٣) في رحلتهِ الى سوريَّة وسينا (ص ١٧٨)
٤) راجع اصداء الشرق (الجزء ٤ ص ٩٠)

افادنا الكاتب عينهُ ان الموارنة كانوا كثيرين في معاملات شيزر ومعرّة النعمان وافامية يسكنون في وسط تلك البلدان. وعندنا ان سبب نموّ الموارنة ووفرتهم في تلك الجهات انما كان قربهم من هذا الدير العظيم فتألّبوا حولهُ ومنهُ قدموا وانتشروا في جهات البترون وجبيل كما بيّنا ذلك في مقالة سابقة

واصدق ما ورد في ذلك انّما جاء في الآثار المارونيّة التي نشرها الخوري نو الافرنسي (Opuscules Maronites, II,22) وقد ذُكر هنـاك ان دير القديس مارون كان « قريباً من افامية في وادي العاصي ». وقد آثرنا قولهُ على سواهُ لان كاتب هذا الاثر اقدم من سواهُ عهداً سبق غيرهُ الى ذكرهِ (١ وقد عرّف موقعهُ بدقّـة وضبط. فمن هذا النصّ مع ما يستفاد من مراجعة اقوال المؤرخين يتّضح لنا ليس فقط ان دير القديس مارون كان في سوريّة الثانية بل انهُ ايضاً كان في مركز هذه الولاية

وممّا يؤيد رأينا ما ورد في تاريخ رهبان القديس مارون المستشهدين. قال كاتب اخبارهم ان هؤلاء الرهبان بعدد ٣٥٠ خرجوا سنة ٥١٧ يريدون دير القديس سمعان العمودي اذ هجم عليهم المغتصبون فقتلوهم. فيؤخذ من هذه الرواية انهُ كان بين رهبان الديرين علاقات متواصلة وانّهما لم يكونا مبتعدين كثيرًا الواحد عن الآخر. على اننا نعلم ان دير القديس سمعان كان موقعهُ في جبل بركات على مسافة بعض ساعات من حلب غربيّها (٢. فلا بُدّ اذن من القول ان دير القديس مارون كان ايضاً من جهة قريباً من افامية كما سبق. وان اعترض علينـا احد ان المسافة بين الديرين لا تزال كبيرة اجبنا نعم لكن الامكنة التي يختارها غيرنا لموقع هذا الدير اذا جعلناهُ في حمص او حماة تزيد هذه المسافة زيادة بالغة بحيث لا يدرك القارئ سهولة هذه المخابرات بين الديرين لاسيّما كيف امكن نحو ٤٠٠ راهب (٣ ان يخرجوا في وقت واحد فينتقلوا

---

١) لا نجهل ان عريضة رهبان القديس مارون الى البـابا هرمزداس اقدم من كاتب هذه الآثار المارونية الّا ان تلك العريضة لا تفيدنا عن موقع الدير سوى كونه في سورية الثانية

٢) وليس كما زعم حضرة الخوري غبريل « حذاء انطاكية » (ص ١٧٥) كذلك لا يمكنّا ان نسلّم بما جاء في ذيل هذه الصفحة نفسها

٣) قلنا ٤٠٠ راهب. ولعلّهم كانوا اكثر والثابت المقرّر انّ عدد القتلى المستشهدين منهم كانوا ٣٥٠ وقد فرّ منهم كثيرون هاربين. وسيأتي قريباً ذكر دير آخر قريب من دير مار مارون بلغ عدد رهبانهِ ستّة آلاف راهب بنيّف

الى الدير الآخر. ومن ثم لا بُدّ القول ان دير مار مارون كان ارقى شمالًا كما تشهد عليهِ الآثار التي استندنا اليها

وان كانت النتائج السابقة هي صحيحة فيبقى ان تنحصر ابحاث العلماء عن دير القديس مارون منذ الآن فصاعدًا في وادي العاصي قريبًا من قلعة المضيق. فينبغي على الاثريين ان يتجوّلوا في تلك الجهات ويفحصوا الاخربة ويجمعوا التقاليد الباقية بين اهل تلك النواحي ربما يطلعوا على موقع هذا الدير الجليل الذي احتلّهُ مئون من الرهبان الصالحين فقدّسوهُ باعمالهم وبرّ حياتهم ويشهد على ذلك المسعوديّ في كتاب التنبيه حيث قال (ص ١٩٣): «ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان وكان فيهِ من آلات الذهب والفضّة والجوهر شيء عظيم فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن». فلا شكَّ انَّ بناء عظيماً كهذا لم يخرب دون ان يبقَ منهُ شيء من آثارهِ. وان قيل ان خرابهُ سبق القرن العاشر فيصعب وجود بقاياهُ. اجبنا انَّ هذا الدير كان موقعهُ بعيدًا عن البلاد الآهلة بالسكّان كما ان قلعة المضيق اصبحت منذ اجيال متعدّدة معتزلةً عن الطرق اللاحبة فلم يكثر فيها الخراب والنهب فلا ريب ان تكون ايضًا آثار هذا الدير الذي عُرف باسم دير البلّور باقيةً بجوارها حتى اليوم (التتمّة لعدد آخر)

رحلة حديثة الى صان الحجر والمنزلة

للاب الملفان الخوري لوسيان لوروا (تتمّة لما سبق)

فبعد أن أجلنا الطرف في هذه الآثار القديمة جلسنا في مكان مشرف على القرية وأخوبتها واعدنا النظر في ما وصلت اليهِ هذه المدينة من المنزلة السامية في القرون الغابرة

واوّل ما خطر لبالنا ان الفراعنة احسنوا اختيار موقع طانيس ليجعلوها حاضرةً لمملكتهم وذلك للطف هوائها اذ كانت بعيدةً عن البحر ورطوبتهِ المضنكة من جانبٍ